الفصل الأول
هديل ناصر الكردي

إهداء

إلى من جُبلَ على جبر الخواطر، بقصد أو بمحض الحُلم...

****

إليكِ أمي

مليكتي و ملِكتي و مملكتي، سروري و سلوتي و صندوق أسراري..

ابتهالي ورجائي، أظن أن جنة الدنيا هي أنت.

حبي لكِ لا يضاهيه حب آدم لحواء، أحبك حباً لو غطّاه ليل عتيمٌ لبقيَ واضحاً..

أنتِ الملهمة الأولى التي لم تتوانَ يوماً عن منحنا الجرعات الإيجابية، من يدعمني في قراراتي ويقف إلى صفي في كل المواقف، من تستشريني إذا احتارت في أمرٍ ما وكأنني صديقتها الأزلية...

أنتِ الملكة التي لن يأتي الزمان بمثلها، الجميلة التي عجز الفنانون عن رسمها، الغيمة التي أمطرتنا.

دعواتك التي ترافقني باستمرار ألتمس نتائجها كل يوم في مواجهة الحياة ومواقفها.

أنت الإنسانة الوحيدة التي تستحق التضحية.

اعذريني أماه إن قصرت في حقك يوماً، ودثريني بدعواتك واذكريني في قيامك وسجودك وتجهدكِ.

الحياة يا أمي قاسية جدًا أشبه ما تكون بالموت، تأخذنا في تقلباتها كثيراً، لكنها كافية بأن تبني في أنفسنا أشخاصاً لا نحتاج إلى ملجأ.

تكاد تخنقنا لكننا نعود إلى بيتنا لنجدك فننسى كلّ ألمٍ ألمَّ بنا، وكأنك راحة لقلوبنا وحضنٌ دافئٌ لهمومنا.

لو كل العالم بطيبة قلبك أمي لتحولت حياتنا إلى جنةٍ، أعي تماماً ما أقوله

أدام الله مبسمك...

****

الطبيب

في خِضم ومعترك الحياة وجدت نفسي منهكة جدًّا، وصلت إلى مرحلة العجزِ تمامًا، فقدت الشغف في مواصلة المسير، نسيت أحلامي وآمالي،
لكنَّ الإله لم ينساني، وسخر لي من عباده؛ من يحمل العبء عني ويقاسمني التعب.
شاركته ما تبقَ لي من أفكارٍ ومعتقدات، رآني على صواب، أخذ بيدي إلى النور، بكلماتٍ بسيطة أنارت عتمتي؛ ونُقشت بذاكرتي،
كلما وصلت إلى مرحلة الاستسلام، تذكرتها وأكملت طريقي،
دعواته لمست أثارها في حياتي، غيرتها فعلاً.
كيف لشخصٍ ما لا علاقة تجمعك به أن يزيحَ تعبك؟
ما الذي دفعه أن يكون كتفاً وسنداً لك؟
كيف له أن يكون كالطبيب يطبب على قلبك ويشفيه؟
كيف له أن يكون كياسمين دمشق العتيق يمضي وتعبق رائحته في كلّ مكان تاركاً آثاره الجميلة وراءه؟
من أي الجِنان أتى؟

من أي سعادةٍ خُلق؟

صدق الشافعي حين قال:

"يُرسِلُنا الله بعضنا لبعضٍ رَحَمات"

إذاً هو رحمة مهداة يسرها الله لمخلوقةٍ ضَعُفت واجتاحَ الحزن قلبها، لطالما كانت تدعو "اللّٰهُمَّ سخر الأرض ومن عليها من عبادك الصالحين،

فهيأ الله الأسباب واستجاب"

لسان حالها ينطق بدعواتٍ لا تتوقف له.

****

إلى ما لانهاية

كسْرةُ الخاطرِ حتى الكتابة لم تتحمل وجعها فما بالكَ بقلبي الهش يا رفيق

ما كُسِر داخل روحي صعبٌ جدّاً أن يعود كما السّابق ...

كما الندبة كلّما رأيتها عاد شريط الذكريات.

هي الحياة وظروفها أجبرتك على فِعل هذا وأقدّر ذلك ولكن

لا الاعتذار ولا شيء يشفي جرحاً أنت صاحبه...

مع ذلك في هذا الوقت تحديدًا جاء مثل النسمة على قلبي، وكأنَّ الله سمع دعاء قلبي الخافت وبعثه، حوّل الألم لأملٍ بتواجده اللطيف وكلماته التي ما إن دخلت روحي إلا وضمدتها وابتسمت على إثرها...

إنسانٌ على هيئة جبر خاطرٍ أقل ما يمكنني وصفه...

تشجيعه المتواصل وحديثه الذي يحمل في طياته نظرات الفخر وصِدق

دعواته ونقاء سريرته وصفاء نيته وحبه الشديد لعمل الخير والكثير من صفاته التي تنتظر الوقت المناسب لتظهر ...

أقل ما يمكنني قوله أنّه نعمة حباها الله واصطفاها
تعمدّت أن أحفظه في كتابي، حتى إذا مرّت الأيام وعاد
شريط الحنين إلى الوراء ذكّرني بجمال هذا الإنسان
الطيب..
وبلحظةِ الجبر في مواطن الضعف.

****

شيروفوبيا

قد قيل:
أنّ " الزمن دواءٌ لكلِ داءٍ "
وأنّ "النسيان هو الحل "
كيف لنا أن ننسى؟
وكلّما قررنا ذلك،
لجأنا إلى الكتابة، فنرى أن كل نصٍ يشملهم
كيف لنا أن نمنع عقلنا من التفكير بهم؟
كيف لنا أن ننسى وجودهم الذي حفظناه بأدق تفاصيله
وقيّدناه بالدفاتر والكتب!
كيف لنا أن نمنع أنفسنا من الدعاء لهم، وكلما حاولنا
نسينا أنفسنا وتذكرناهم!
الأثر الذي تركوه خلفهم، مواقفهم ولحظات السعادة
بقربهم...
كنا سعداء جدّاً، ما الذي تحول فجأة؟
لم أصبحت محبتهم جِراحاً لا تُشفى؟
لا جدوى من نسيانهم، عبثاً أحاول
في الروح مسكنهم إلى يوم يبعثون.

حبيبة المطر

أجواء الخير تلك التي جاءتنا فأسعدتنا بقدومها.
صوت ارتطام زخات المطر على النوافذ شكّل سيمفونيةً فريدةً من نوعها.
دفعتك هذه الأجواء أن تمشي تحت المطر، تغلل البرد داخل عظامك، وتجمدت أطرافك لدرجة عدم التحكم بها، وكأنها بُترت.
لكنك تذكرت أحدهم، فشعرت بالدفء، دعوت بكل ما بقلبك متجاهلاً السيارة التي مرت من جانبك وأغرقتك واصلت الدعاء دون انقطاع، مرّ شريط الذكريات و أخذت تفكر إذا ما نسيت دعاءه
تفاصيل الشتاء مذهلة
وإذا بهم إثنين تحت المطر ما أجملهما
ربما عاشق وعشيقته هكذا خُيّل لك، ربما أصدقاء على حافة الرصيف يتبادلون الأحاديث والضحكات والمطر يبلل ثغرهم ويغرق روحهم فرحاً
فرحت لهم وتخيلت رفيقك يشاركك المسير
لكن خيالك بقدر جماله حزين.

أكمل طريقك وحدك، ستجد في النهاية من يحكم قبضته بيديك، ويتشبث بقلبك، ينتظرك آخر النفق ليعلن الضوء
الأمل في تحقيق أحلامك، لا تتوقف.

****

مُتمرّدٌ

ما لي أراك وحيداً
تجوب السماء وتزينها
مضيئاً رغم عتمتك
تشع نوراً رغم انطفائك
بأسوأ حالاتك جميل
كيف لي أن أنساك؟
والنجم يذكرني بك ...
بعيدٌ جدّاً
حتى النجم في بعده
رأيت لمعانه
ولم أرَكَ..
لو أني أملك جناحين
لحلّقت بهما إلى فضائك
وبحثت عنك في أفلاكك
واحتضنت وجعك
وأبدلته فرحاً
وخبأتك داخل روحي

وأكملنا حياتنا معاً
لو أنك قريب
لأخبرتك عن الشرخ
الذي أحدثه غيابك..
والشوق الذي تجاوز حده
لا عليك يا رفيق
سأسقطك من على الرأس
إلى سواد العين إلى حنايا القلب
وهناك مُستقرك.

****